

رؤية شرعية لواقع المرأة المعاصرة

تقديم فضيلة الشيخ الدكتور :

عبد العزيز بن فوزان بن صالح الفوزان

بقلم

بلقيس بنت صالح الغامدي



رؤية شرعية لواقع المرأة المعاصرة

تقديم فضيلة الشيخ الدكتور :
عبد العزيز بن فوزان بن صالح الفوزان

بقلم
بلقيس بنت صالح الغامدي







الطبعة الأولى

١٤٣١هـ / ٢٠١٠م



الـــدائـــــري الشـــــرقـــي - مـخـــــرج ١٥

الـريـاض - المـلـز - ٢كـم غـرب أسـواق المجـــد

ت : ٤٧٩٢٠٤٢ (٥ خطوط) فاكس : ٤٧٢٣٩٤١

الموقع على الإنترنت : www.madaralwatan.com

البريد الإلكتروني : pop@madaralwatan.com



تقديم فضيلة الدكتور:

عبد العزيز بن فوزان بن صالح الفوزان

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عبده ورسوله، نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فقد اطَّلعت على هذه الرسالة المباركة التي كتبتها الأخت الفاضلة: بلقيس بنت صالح الغامدي، بعنوان (**هزيمة امرأة**)، فأعجبني موضوعها، الذي يسلِّط الضوء على خطورة الهزيمة النفسية، والتخلي عن الثوابت والقيم الإسلامية، وحرص الكاتبة - وفقها الله - على تشخيص هذه المشكلة وبيان أسبابها وأساليبها ومظاهرها، وتأكيدها على آثارها السيئة دينيًّا ودنيويًّا، ثم بيانها لحلول هذه المشكلة وسُبُل مواجهتها، مدعمة ذلك بالكثير من النُّقولات المناسبة عن عدد من العلماء والمفكرين.

أسأل الله تعالى أن يجزي الكاتبة خيرًا، وأن ينفع بهذه الرسالة ويبارك فيها، وأن يصلح الأمة ويرفع شأنها، ويحفظ عليها دينها ومصدر عزِّتها، فنحن قوم أعزنا الله بالإسلام، ومهما ابتغينا العزة بغيره أذلَّنا الله.

والحمد لله رب العالمين. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه: عبد العزيز بن فوزان بن صالح الفوزان

المشرف العام على مواقع وقنوات (رسالة الإسلام)

وعضو مجلس هيئة حقوق الإنسان

* * *

إهــداء

إلى كل امرأة آمنت بالله ربًّا، وبمحمد ﷺ نبيا ورسولًا، وبالإسلام دينا.

إليكِ رسالتي هذه بين يديك لتقرئيها بعينيك، فيعيها عقلك، ثم يؤمن بها فؤادك بإذن الله.

إنها رسالة محب لمحبوبه، رسالة من آمن بأن الحب التزامٌ على نفع محبوبه، لا كلمات عابرة أو جملًا مصفوفة تزخرَف بها الصفحات، وتزين بها البطاقات، وتمتلئ بها رسائل الجوّال.

إن رسالتي هذه ما هي إلا إشارة إلى الهزيمة التي ينبغي أن تكون المرأة المسلمة في حذر من أن ترفع لواءها مستسلمة ومنهزمة، في لحظة تقف فيها على أنقاض دينها.

- ليست الهزيمة عندما تفشل المرأة في علاقتها الزوجية.
- أو عندما تتعثَّر في دراستها.
- ولا حتى عندما تخسر علاقات اجتماعية لها.
- أو عندما لا تحصل على وظيفة تتناسب مع مؤهِّلها.
- ولا حتى عندما تدخل في مشروع فتخسر فيه مالها.

إن الهزيمة التي أريد، والتي تكون الخسارة فيها مصيرية، تلك التي تدفع بكِ لأن تتنازلي عن قضيتك الكُبرى والعُظْمى، وتستسلمي أمام دَعَاوَى الماكرين المضلِّلة، لتبيعي دينكِ بعَرَض من الدنيا قليلٍ، كل ذلك في سَكْرَة الانبهار بثقافة مَمْجوجة وعبارات مزخرَفَة مزيَّنة، وأفكار انهزامية مقيتة.

* * *

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يُضْلِل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فإن المرأة المسلمة تخوض هذه الأعوام حربا شَعْوَاءَ مع الباطل وأهله، غايتها احتلال العقول وامتلاك القلوب وحِصار الأهداف، وقد أعلنتْ فيها بعض النساء انهزامَها، رافعة الراية البيضاء بكل ذلَّة وضعف.

وإن ما يُفْتَرَض منَّا هو أن لا يكون موقفنا من هذه القضية موقفَ الشَّاكي الباكي المستسلِم المنهزِم، بل لابد من الارتقاء بدَوْرنا إلى دَوْر المشخِّص الفاحص، الباحث عن علاج جراحه، فما أكثرَ جِراحَ الأمة! فلقد باتتْ مَكْلُومَةً ومألومة بنا، ولن يلتئم جُرْحُها إلا بنا.

كما أنه مما ينبغي لنا مراعاته حين مواجهة ثقافة الانهزام المَقيتة، تلك الرؤية الواقعية البعيدة عن الطرق الفجَّة الخالية من الموضوعية.

ولقد جاءت رسالتي هذه لتشير إشارات لأبرز الخطوط العريضة المتعلقة بثقافة الانهزام عند نساء الإسلام، وخطورة انتشارها، مع بيانٍ لأبرز من يتزعَّم نشر هذه الثقافة، وأشهر وسائلهم وطرائقهم في ذلك، ثم جاء فيها بيانٌ لأكثر المآخذ التي تؤخذ عليهم، وأهمّ ما ينبغي أن تفعله كل امرأة تَدِين بهذا الدِّين.

حيث إن ما قد نَلمَسه من مظاهر استسلام المرأة أمام مُغْرَيات الحياة ومُسْتَجَدَّاتها، وتنازلها عن أمور عدَّةٍ من دينها، يجعلنا نتساءل عن دوافع هذا التنازل، وعندما نفتش عن أسباب ذلك ودوافعه نجد أن الثقافة الانهزامية لَدَى العديد من فتيات الأمة ونسائها، باتت تُشَكِّل داءً عُضَالًا يُبرِز تلك النماذج الهَزيلة التي توحي بضعفها الإيماني، وهَشَاشة القاعدة الدينية عندها، لذا فمن المهم أن نعْتَرف بأنّ غياب الوعي عمّا يُحاكُ ضد النساء المسلمات هو نقطة انتشار ثقافة الانهزام لدى نساء الأمة.

وإن هذه السياسة قد فضح الله أمر أصحابها من شياطين الإنس والجن، وقرر عاقبة من يسير وِفْقها، وتولى الله شأن الصادقين والصادقات معه، بل ووعدهم بالنصر والتمكين.

* * *

مِنْ هنا كانت البداية

لقد كانت المواقف في الجاهلية بين الناس بعضهم ببعض مواقف عداوة وبغضاء كالتي كانت بين الأَوس والخَزرَج من الأنصار، إلا أنّ الله مَنَّ عليهم بنور الإيمان، فقطع الحروب الجاهلية بينهم وألّف بين القلوب، فكانت أعظمُ النعم التي أنعم الله بها على الناس، نعمةُ التأليف بين قلوبهم، فجمعها على الإيمان بالله والإيمان برسالة محمد ﷺ، وعلى طاعته ومناصرته ومؤازرته، فذكّر الله نبيه ﷺ بذلك، ونسب تلك النعمة إليه سبحانه وتعالى، فقال: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ [آل عمران:١٠٣].

فعندما تُضيِّع النساء المسلمات حق شكر تلك النعمة، وذلك بالاختلاف والفُرقة، يضعُف الحق وأهله، وتتفرق المسلمات الصالحات من النساء فلا تجمعُهُنَّ كلمة واحدة، فتحُلُّ العقوبة عليهن بأن تعلو صرخة الباطل وتَقْوَى ضربته؛ وحينها تدب الانهزامية والضعف والاستسلام في نفوس المؤمنات، وتنخر في عظامهن؛ لتلقي بهن أجسادًا هزيلة بقلوب مريضة، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران:١٠٥].

وقد بيّنَ الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ أسباب انهزام الأمة وأجملها في ثلاثة أمور في قوله: «أن اجتماع أسباب انهزام الأمة في ثلاثة أمور، وهي: مخالفة ما أُمِرُوا به من قِبَل القادَة، وكذلك الإعجاب بالذات والكثرة، والاعتماد على ذلك دون التوكل على الله، وثالثها: التنازع والتَّفَرُّق والاختلاف والشِّقاق»[1].

* * *

(١) الأحكام السلطانية عند ابن عثيمين، عبدالعزيز بن عبدالرحمن الشبرمي.

ثقافة الانهزام

إن أبرز سِمَةٍ لنشر ثقافة الانهزام بين بنات الأمة ونسائها، هي الاحتيال والتدبير الخفي المحكم؛لإيقاع ما يريده الماكِر بنا من حيث لا نحتسب.

ولعلّ هذه هي السمة التي بها تَحايَل المشركون بأنواع الحِيَل لأذية نبينا ﷺ، فقال الله عنهم: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ [الأنفال:٣٠].

فإنه مِن الناس في هذا العالم مَنْ جعل المكرَ بالمرأة مَنْهجَه، وصدَّها عن الحق والخير هدفَه، والخداعَ والاحتيالَ سِمَتَه.

وقد أشار الفخر الرازي رحمه الله في تفسيره إلى أصل معنى المكر فقال: «أصل المكر في اللغة السعي بالفساد في خُفْيَة ومُدَاجَاة»[1].

فحقيقة المكر: «فعل يُقْصَد به ضُرُّ أحدٍ في هيئة تَخْفَى أو هيئة يحسبها منفعة»[2].

وما أكثرَ القضايا التي يتولاها ويُرَوِّج لها الماكرون بديننا للنساء المسلمات؛ لإلحاق الضَّرَر بهنَّ في دينهن وحياتهن! وقد يُظن أنها منفعة لهنَّ؛ من خَلع وَلَاء المسلمة لأصلها، وفصل مشاعرها عن ظروف أمتها.

(١) تفسير مفاتيح الغيب، للرازي.
(٢) تفسير التحرير والتنوير، للعلامة ابن عاشور، (ص:١٥٩٨).

ولعلّي أُورِد لكِ، أيتها الفاضلة، بعضًا من النماذج المعاصرة التي تصور هذه السياسة وأصحابها:

١- المدّ الإعلامي:

ما نجده من السياسة الخطيرة الماكرة في بعض القنوات الفضائية ـ من هَجَمات مركّزة حول هدم الكثير من القِيَم الإسلامية، وقطع الطريق بين المرأة وخالقها، وتشويه صورة الإسلام في أعيُن العالم عامَّة والمسلمين خاصة ـ ما هي إلا نموذجٌ واضحٌ لسياسة أصحاب تلك القنوات الذين يسيرون وفق منهج التَّعْمِيَة والتَّمْوِيه.

فعلى سبيل المثال: المرأة القائمة بحق ربها في زوجها وأبنائها، تلك المرأة المُتَبعِلَةُ الصالحة التقيَّة النقيَّة المربِّية الفاضلة (ربة البيت) نجدهم يصفون دورها بالدور المستهلَك النَّمَطي التقليدي والمُخْتَزَل، ويصفونها هي بالمرأة المستهلكة غير المنتجة. بل وسعى بعضهم إلى تزيين دور المرأة اللَّعُوب، أو المرأة الخارجة عن الفطرة المنادية بالمساواة.

وكم اغترَّ بهذا الغُثاء نساءٌ ونساءٌ!

تقول فتاة من دمشق في سن ١٨ من عمرها: «إني أفكر بالانتحار كل دقيقة، بل في كل ثانية؛ لأنه لا تمضي ساعة واحدة دون أن أشعر بالعاطفة الجنسية الجامحة تخترِق أحشائي كما يخترق الرصاص جسم الإنسان ويقتله، وكلما شاهدت فيلمًا عاطفيًا أو قرأت قصة غرامية، تثور عاطفتي وغرائزي».

والشواهد على أن الإعلام غيرَ المسؤول ومن يَسُوسه قد بات من أهم أَذْرِعَة ثقافة الانهزام التي تهدد عقول المسلمات وقلوبهن، كثيرة جدًا.

ولذلك نحن بحاجة إلى أن نوظّف إعلامنا في دعوة الناس إلى ربهم، فكم نحن بحاجة إلى أن نعمل على توجيه هذا الإعلام إلى ما يجعل منه إعلامًا واضحًا جليًّا نقيًّا يعرف أهدافه، وأُسُسَه، ومبادئه، ومنطلقاته، وتَوَجُّهاته؛ لأن الإعلام الذي يبحث عن رضا الناس ذلك إعلامٌ ينقاد لرضا الناس ليس غير، دون مراعاة لأي اعتبارات أخرى، شرعية كانت أم أخلاقية أم اجتماعية. وأما الإعلام الذي يصنع الأمة ويصنع الجمهور ويربيه هو الإعلام الذي يَنْبَثِق من الأمة الواحدة، الأمة الإسلامية الحقّة.

كذلك بعض الصحف الإعلامية وبعض ما يكتب فيها ويتنافس في نشره من قضايا المرأة واهتماماتها من قبل المنهزمين والمنهزمات بأسلوب الحريص الناصح المشفق المحب، كما قال ربنا جل وعلا: ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ [الأعراف:٢١].

٢- المدّ الثقافي:

بعض أشكال الأدب كبعض المؤلفات من الروايات والدواوين الشعرية والكتب التي تعمل على تغيير القيم الإسلامية.

٣- معظم المؤتمرات الدولية:

والتي تُعقد على مستوى العالم للبحث والنظر في قضايا ومشكلات المرأة، كقضية ظلم المرأة الاجتماعي، وحق الحرية، وحق العمل، وفق

مفاهيم غربية بَحْتة، (كمؤتمر بكين) القائم على مبادئ كفرية وأحكام ضالة، فنجد تلك المؤتمرات تناقش الظلم بالمعنى الذي تراه هي، وتناقش الحرية بالمعنى الذي تراه، وكذلك حق العمل؛ إذ لا يمكن أن تضع أمثال هذه المؤتمرات أي اعتبار لديانة المرأة أو عرفها الاجتماعي، الأمر الذي ـ ولله الحمد ـ بات عقبة في طريقهم إلى تحقيق هذه المشاريع. وكل ذلك بزعم إرساء مبدأ المساواة والإنصاف للمرأة، وإشراكها في صنع القرار، وبِـدَعوى تحقيق الذات.

٤- الدراسات والبحوث:

والتي تُجرى من أجل دراسة حال المسلمات.

٥- استخدام ناشطين من بيننا ـ المسلمين ـ:

ممن اغترَّ بالثقافة الغربية وانبهر بها ـ المستغربين ـ وذلك؛ لترويج باطلهم؛ حتى يكون اختراق الباطل لصُفوفنا سهلًا ومقبولًا ومطمْئِنًا.

وإن هذا الترويج هو من أبرز أسباب استفزاز المسلمين في هذه الأمة؛ إذ ليس من مصلحة أمتنا من الداخل وجود مثل هؤلاء الناشطين، في الوقت الذي تحاصر الأمة تحديات كبرى تستدعي التلاحم والاتفاق على حقائق الإسلام ومحكماته.

أهم الأهداف من نشر ثقافة الانهزام:

قال الله سبحانه: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [البقرة:٢١٧]، ومعنى الفتنة في الآية، على ما نقل القرطبي عن الجمهور: «فتنة المسلمين

عن دينهم حتى يهلكوا»[1].

ولو استنطقْنا حال المجتمعات الغربية وما مرّت به من تجاربَ أليمة، لعرفنا أنّ ما تقدمه هذه المجتمعات من مشاريع نسويَّة ومؤتمرات دولية لخدمة المرأة المسلمة، كما يدّعون، ما هي إلا مخططاتٌ تقف خلفها أهداف عديدة. منها:

١- صدّ المرأة عن الحق:

فهم يريدون تكوين شخصيات إسلامية مشلولة، لا تقوى السير على الحق، ولا الدعوة إليه. وذلك من خلال عدة طرائق، أهمها الطعن في منهج المستقيمات، وأسلوب حياتهن الذي صاغه لهن خالقهن؛ فتارة يُسمع أن المرأة المسلمة محرومة، وتارة ينادَى بتحرير المرأة من أسلوب الحياة التقليدي، كما يزعمون، وتارة يدْعون للحرية بمفهومهم؛ إذ لا مجال لتدخل الشرع الإسلامي في جزئيات حياة المرأة. وكما تثار أيضًا قضية قوامة الرجل تحت مبدأ السيطرة الذكورية؛ لتعيش المرأة المسلمة في صراع مع الجنس الذكوري، ساعية في تحقيق استقلالها وتحقيق ذاتها، كما يقولون: «الصراع السُّلطَوِيّ».

٢- إسقاط الواجبات الشرعية عن المرأة المسلمة:

من حق خالقها عليها؛ من حجاب، وحياء، وعفة، ومن رعاية أسرتها

(١) تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) المحقق: هشام سمير البخاري الناشر: دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية الطبعة: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

وزوجها، ومن التفقُّه في دينها وأخذها العلم عن طريق السعي؛ لإشغالها بعموميات الحياة والاستسلام أمام مغرَيَاتها؛ ليسهل بعد ذلك التنازل شيئًا فشيئًا عن دينها، أو شيء منه، وكل ذلك باسم المدنيّة.

٣- الدعوة لإشراك المرأة مع الرجل في جميع ميادين العمل وبكل أشكاله المتوافقة مع الشرع والخِلقة وغير المتوافقة:

وهذا ظاهر فيما يسمى باتفاقية التميّز في الاستخدام والمهنة، ولقد تعهدت فيها الدول الموقعة بالقضاء على أي تميّز، وتشجيع المساواة في الاستخدام والمهنة.

يقول أحدهم: «إن السنوات القادمة سوف تشهد انفجارًا في قائمة طالبات العمل... والتوجه نحو حل هذا الإشكال لا بد وأن يأتي سريعًا، وبحلول راسخة لا تقبل الجدل أو العودة إلى عُنُق الزجاجة الذي طالما راهن عليه أعداء الحقوق المشروعة للمرأة»[1].

ويؤيد هذا ويقوّيه الاتفاقية الدولية (اتفاقية السيداو) التي تسعى لإلغاء كل الفوارق بين الرجل والمرأة تمامًا، وإلغاء التكامل بينهما، والمطالبة بالمساواة دون التكامل.

٤- تمييع الهُويّة الإسلامية للمرأة:

لتكون امرأة هُلامية، لا تظهر عليها حتى مظاهر الانتماء للدين الإسلامي، فتكون ضعيفة في هِمَّتها ركيكة في شخصيتها، لا يكون لها همٌّ

(١) حماد بن حامد السالمي، جريدة الجزيرة (٩٧١٣) في ١٤٢٠/١/١٧هـ.

إسلاميٌّ تدعو إليه أو تسعى لتحقيقه، فتصبح بعد ذلك شخصية مُتَحَرِّرَة، كما يزعمون، وهي في الحقيقة شخصية متمَرِّدة على شرع ربها، تقودها أهداف شيطانية أو دونية تَحُوم حول التفاهات وتشتغل بالدّونيَّات، وتُسرف على نفسها بالمباحات.

أساليب نشر ثقافة الانهزام:

١- أسلوب التشكيك:

وقد بيّن الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ بقوله: «إن أمة الإسلام قد غُزِيَت من قِبَل أعدائها من جميع الجوانب؛ العسكرية، والفكرية، والأخلاقية، والعاطفية، وإن غزوهم الفكري يكون بإفسادهم أفكار المسلمين وعقيدتهم، حيث يحاولون تشكيك المسلمين في دينهم، وزَعْزَعَة العقيدة من قلوبهم بما ينشرونه من كتب ورسائل، وما يُلقونه من خطب ومقالات بالطعن في الإسلام وقادته، وتزيين ما هم عليه من الباطل» ا.هـ[1].

فلقد نهج الماكرون بديننا إلى التشكيك بصلاحية أحكام الشريعة ومناسبتها لظروف الحياة مع مُسْتَجَدَّاتها المتغيرة، إذ أنّ التشكيك في دين الإسلام والطعن فيه هو وسيلة أعداء هذا الدين منذ سالف الأزمان وعلى مرّ السنين؛ لتحقيق الهدف الأوحد، وهو القضاء على هذا الدين، ولقد بيّن الله تعالى ذلك في قوله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ

(١) الأحكام السلطانية عند ابن عثيمين، عبد العزيز بن عبد الرحمن الشبرمي، بتصرف.

رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة:٣٢-٣٣].

فقضية الحجاب مثلًا يؤكدون بها دونية المرأة، وأن فيه عزلًا لها عن مجتمعها نفسيًّا وجسديًّا! وهو بذلك يكون مُعْضِلَة تقف عائقًا في طريق هذه المرأة نحو النهوض والتعلُّم والارتقاء ونحوها!

وأما التعدد: فيُتناول بصورة متشنّجة وعدائية، تغرس في نفس المرأة شعورًا بأنه شريعة عليها لا لها، ويحاولون إظهار عدم تناسبه وتواؤمه مع روح العصر ومعطياته! مستشهدين على ذلك بنماذج الضياع التي يتعرض لها أبناء الأزواج المعدِّدين، والشقاء العائلي الذي يعيشونه.

ومن هذا كله يتضح لنا أنه لم يكن الهدف تحليل المشكلة ومن ثَمَّ حلَّها، وإنما الهدف ـ كما يظهر ـ إقصاء الحكم الشرعي، كل ذلك من خلال التشكيك في مناسبة دين الإسلام لكل زمان ومكان.

وفي جريدة عكاظ يقول الكاتب: «وأظنّ أنّ كثيرًا مما يُكتب أو يُقال في عدد من المجتمعات الإسلامية حول حقوق المرأة في الإسلام، ليس سوى تبرير لحرمانها من هذه الحقوق».هـ[1].

٢- أسلوب السخرية والاستهزاء:

من خلال ترديد ما يقوله الغرب من إرخاص للولايات الشرعية والتعدي على الأحكام الإسلامية.

(١) توفيق السيف، جريدة عكاظ (١١٩٢٤) في ١٤٢٠/١/٤هـ

فالمَحْرَم للمرأة مجرد صَوْلَجَانٌ على تعبير إحداهن.

وعن الحجاب تقول أمينة السعيد ـ وما أخالها أمينة ـ: «عَجِبْتُ لفتيات مثقَّفات يلبسن أكفان الموتى وهنَّ على قيد الحياة» ا.هـ.[1].

ويقول أحمد عبد المعطي حجازي: «إن للسفور مساوئَ لكنها أقل ـ قطعًا ـ من مساوئ الحجاب والنقاب، وشبيه بمن يدعونا للعودة إلى الحجاب من يدعونا للعودة إلى ركوب النّياق والحمير والبِغَال. هذه هي عقلية عصور الانحطاط» ا.هـ.[2].

كما كتب كريستوف في صحيفة نيويورك تايمز في أكتوبر ٢٠٠٢م، حيث افتتح المقال بإطلاق لقب (بلاك قوستس) ويعني ذلك الأشباح السوداء للنساء في المملكة. كما أشار أنه وجَّه سؤالًا لبعض الأكاديميات السعوديات: كيف شعوركن وأنتن ممتَهَنات؟ ولكن كان الرد عكس ما يريد، بأنهن يشعرن بالاعتزاز والكرامة وغير ممتَهَنات. فيستطرد قائلًا: ماذا عسانا أن نفعل في هذا الشأن! نحن في الغرب نريد تحرر هؤلاء النسوة وهن يُصْرِرْن على أنهن سعيدات بوضعهن! فإن كان معظمهن يرغبْنَ في لبس الخيمة، فلا يتفاجَأن عندما يشير إليهن الناس ويتحدثون عنهن بصوت مرتفع.

وتُنْعَت الطقوس المستخدمة في الحج أنها (من بقايا الوثنية) ـ قالته نوال السعداوي ـ

(١) كتاب الولاء والبراء، لمحمد بن سعيد القحطاني، (ص:٤٠٤).
(٢) جريدة الأهرام بتاريخ ١٢/١٠/١٤١٢هـ ١٥/٤/١٩٩٢م.

والحدود الشرعية بالبشاعة والفظاعة، ووصمها بأنها شريعة الرجعيين والأصوليين، وأن فيها وحشية! إذ كيف تقطع يد السارق ويُرجم الزاني المُحْصَن؟!

ومن السخرية بأحكام الشرع ما ذكره محمد الغزالي ضمن سخرياته وهزلياته الكثيرة؛ حيث قال: «إن أهل الحديث يجعلون دِيَة المرأة على النصف من دِيَة الرجل، وهذه سَوْأَةٌ فكرية وخُلُقِيَّةٌ رفضها الفقهاء المحققون» ا.هـ[1].

وما أعلم من سبب لوقوعهم في هذا المسلك الخطير غير جهلهم بالدين.

نقل القرطبي ـ رحمه الله ـ عن القاضي ابن العربي ـ وهو يشرح موقف المستهزئين في غزوة تبوك ـ قوله: «لا يخلو أن يكون ما قالوه من ذلك جِدًا أو هزلًا، وهو كَيْفَمَا كان كَفَرَ، فإن الهزل بالكفر كفر لا خلاف فيه بين الأمة، فإن التحقيق أخو العلم والحق، والهزل أخو الباطل والجهل» ا.هـ[2].

ومن أبرز الصحف العربية المنتَهِجة لهذا النهج ـ السخرية بالإسلام ـ مجلة نيشان المغربية.

* * *

(١) كتاب السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث، لمحمد الغزالي، (ص:١٩).

(١) تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٨/٣٩٧)، تحقيق: أطفيش سنة ١٣٨٠هـ.

مآخذ عليهم

إنّ كل من تزعّموا نشر ثقافة الانهزام وبثّ روحها في نفوس النساء المسلمات، حالهم كالمريض الذي يخالط الأصحاء فينشر بذلك مرضه، وليتهم اكتفوا بالوقوف على مصيبتهم في دينهم، وعكفوا على أنفسهم يعالجونها ويزكُّونها مما خالطها من أمراض القلوب والشُّبُهات، ولكن من يضلل الله فلن تجد له وليًّا مرشدًا. ولعل من أبرز ما يؤخذ على مشاريعهم ـ التي لا تكاد تخلو من المآخذ والسقطات، التي سلبت منهم مصداقيتهم وأمانتهم في النصح، وسلامة نيتهم وانسلاخهم من وصف الحكمة والعقل ـ ما يلي:

١ - منهج التعميم ونظرتهم السلبية الجاحدة لأنْعُم الله تعالى علينا، نحن النساء، وكأن حياة المرأة المسلمة جحيم مُسْتَعِر، فلم نعتدْ على قراءة أو سماع ما يظهر حقيقة ما تعيشه المرأة من تكريم في ظلّ هذا الدين، فالمرأة المسلمة عندنا، أمًّا كانت أو فتاة، لها قرابة مأمورة بالقيام عليها ورعايتها، بل ومسؤولة عنها،كما أن لها دولة تأويها وتحميها. وكلّ ذلك ليس لأحد فضل فيه، بل هو حق من حقوقها.

فغالب أُطْرُوحاتهم تنهج منهج السلبية وتتسم بسمة التهويل والتضخيم والإثارة.

ومن أهم مظاهر هذا التهويل المفتعل:

أ- إخراج الكثير من القصص من قالب التجارِب الفردية، إلى قالب المشكلات واعتبارها ظواهر يتسم بها المجتمع الإسلامي، وذلك من خلال نقل التجارِب الشخصية على لسان كاتبة أو سيدة أعمال أو قاصَّة أو فنانة تروي فيها معاناتها مع حقوقها المهدرة، والدَّنْدَنَة حول نماذجَ شاذَّةٍ ضالة، ليس لها إلا الجهات المختصة لتنظر فيها.

وفي مقالة للكاتبة إكرام بنت عبدالعليم الزيد بعنوان (العنف ضد المرأة) جاء فيها: «أما الظواهر التي نقِرّ بوجودها وتعاني منها كثير من النساء، والتي يأباها عنها الشرع والعقل، والتي يجب علينا ردّها ونبذها والوقوف أمامها بحزم وقوة - فإنها أمور يُخلط فيها كثيرًا بين الشريعة السَّمْحة والتقاليد الموروثة، ويقوم بها من جهل حقيقة الإسلام وروعة تشريعه وعظمة مبادئه، بيد أن اتفاقنا على وجود الداء لا يلزم منه اتفاقنا على نوع الدواء، فنحن نتفق معهم في بعض الأمر ونفترق في بعضه؛ لأننا نحتكم إلى دين رباني رشيد سديد نأخذ به، ولا علاج لهذه الظواهر إلا بالتوعية الشرعية المكثَّفة في جانب كرامة المرأة وحقوقها، مع التعزير الشديد لمن خالف النهج النبوي الكريم مع النساء، ولم يستوص بهنّ خيرًا» ا.هـ.[1].

ب- تحوّل بعض الرجال إلى محُامٍ غيرِ مؤهل للدفاع عن المرأة وحقوقها.

---

(١) موقع رسالة المرأة، ملفات ثقافية، نشر بتاريخ ١٤٢٩/٢/٢هـ الموافق ٢٠٠٨/٢/٩م.

ج- تسمية الأشياء بغير مسمياتها بتهويل وتحقير.

٢- تسطيح اهتمامات المرأة وحصرها في الاهتمامات الشكلية: من خلال ما يتناولونه من مواضيع، وكأن المرأة المسلمة لم تَعُدْ تحمل همًّا غير همِّ الخروج إلى السوق بلا محرم، أو همِّ ركوب السيارة وقيادتها، أو أن تكون امرأة مسعورة تسعى خلف إشباع رغباتها الجنسية فقط. ولا أعلم لماذا هذا الحصر لقضايا المرأة ؟! أهو شحّ في الموضوعات الاجتماعية، أم سَوْءَة زمنية، أم شهوة شيطانية؟! وعلى كلٍ مهلًا: فالمرأة المسلمة ليست سطحية الاهتمامات، ركيكة الهمة ضعيفة التفكير ـ كما يتصوّرون.

بل إن لها اهتمامات وآمالًا سامية، ولديها بالمقابل مشكلات حقيقة تحتاج لمن يعينها لحلها، وأزمات ترغب فيمن يساعدها على تجاوُزها.

يقول أحدهم مبينًا موضع تطور المرأة العربية في نظره: «في الحقيقة يهمنا في المقام الأول أن تتطور المرأة العربية في كل المجالات، فمثلًا منذ سنوات وجدنا أن لباسها العربي تثار حوله علامات استفهام، ولذلك منذ سنوات في عام ١٩٧٩م طلبنا من دور الأزياء الفرنسية في مساعدتنا في تصميم زي تقليدي جديد للمرأة العربية، وبالفعل تم التوصل إلى زيّ إسلامي عربي جديد، ولكنه للأسف قوبل بالرفض، وهذا الزي لا يزال موجودًا في محلات الأزياء بباريس» ا.هـ.[1].

٣- رفضهم للتحكيم الشرعي وعدم مراعاة دين المرأة المسلمة،

---

(١) جريدة المدينة (١٣٣٠٠) في ١٤٢٠/٦/٨هـ.

وهذا ما أظهرته فَلَتَاتُ أقلامهم، كما أخبر الله عنهم بقوله: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ [محمد:٣٠].

وهذا ما قد يسمى بالشللية الفكرية التي تتبنى عددًا من مسائل العقيدة والشريعة والثقافة بمنهج عقلي عصري منحرف.

وقد طالبت نوال السعداوي في مؤتمر صحفي عقدته ودعت إليه الوكالات الغربية العاملة في مصر وحدها، طالبت «بتشريعات نسوية علمانية لا يكون لله فيها أي سلطان أو حق على حد تعبيرها»[1].

وكما قال أحدهم: «التراث والقيم العربية والإسلامية موجودة بيننا، ولا داعي للخوف عليها أو المبالغة في الحفاظ على التراث، وذلك كون العَوْلَمَة قد فرضت نفسها»[2].

فأُطْروحاتهم لا تنبع من الرؤية الشرعية، تلك الرؤية العادلة المتكاملة، بل من نظرة منهزِم مهووس للاحتكام إلى النموذج الغربي، وكأنه هو النموذج الذي يجدر بنا محاكاته وامتثاله.

يقول أحدهم: «القوانين الوضعية الديمقراطية أوضحتْ من خلال دَسَاتيرها أن للمرأة حقوقًا كاملة، لا تقل شأنًا عن حقوق الرجل» ا.هـ[3].

---

(٢) مجلة البيان، العدد (١٤٩) (ص:٦٠).
(٣) جريدة الوطن (٨٤٩٣) في ١٤٢٠/٦/٢٦هـ
(١) جريدة الوطن الكويتية (٨٤٩٢) في ١٤٢٠/٦/٢٥هـ

ويقول حماد السالمي: «إن كثيرًا من دول العالم الإسلامي قد سبقتنا في الوصول إلى حلول جذرية في مسألة الحجاب وكشف الوجه وميادين عمل المرأة وقيادتها للسيارة، ولا أرى بأسًا من الاستفادة من تجارِب الآخرين، والأخذ بما هو مقنع وفي حكم المنطق والعقل» ا.هـ[1].

٤- الضَّبَابِيَّةُ والتَّذَبْذُبُ: ليس لديهم ما يدعون إليه، فغالب أُطْروحاتهم تهدف بشكل مباشر إلى هدم الدين فقط؛ لذا يمكن وصف منهجهم بالمنهج الوصفي، الذي يعتمد على رواية بعض الحقائق والآراء والمفاهيم التي أشكلت على حياة المرأة، ذلك المنهج الذي لا يقف خلفه سوى تحقيق أهدافٍ مرفوضة عقلًا ونقلًا، والدَّنْدَنَة على ما أهدر من حقوق لتلك المرأة، ولا يعدو الأمر سوى تقليبٍ للمَواجع لا أكثر.

إذ ما تحتاجه المرأة المسلمة من كل من يدعي مشاركته لها في قضاياها، أن يتبع المنهج التحليلي المستند لما تدين به تلك المرأة في دينها الإسلام؛ حتى يكون منهجًا مقبولًا منصِفًا لها، يحلل المشكلات ويسميها بأسمائها، ثم يقدم لها الحلول الواقعية المُتَّزِنَة.

٥- يريدون من كل أحد أن يوافقهم في أطروحاتهم ولا يقبلون الاختلاف معهم. هاهم يمنعون المسلمات المحجبات من ارتداء الحجاب في بلادهم، ويتحدثون عن حقوق الإنسان وحرية التعبير عن الرأي. هاهم يُلجِمون كل مخالف لهم، في حين أنهم يُوهِمون أنفسهم بأنهم يفهمون معنى الحوار الذي يدعون إليه.

---

(٢) جريدة الجزيرة (٩٧١٣) في ١٤٢٠/١/١٧هـ.

ففي تركيا - على سبيل المثال - يقول الكاتب: «منذ تأسيس الجمهورية تبنَّى العَلَمانِيُّون أسلوب القمع بالقوة لأيِّ تيار يتحدى المبادئ العَلَمانِيَّة، وقد تُوِّج ذلك بالانقلاب الدمويِّ على حكومة مندريس عام ١٩٦٠م»[1].

وفي مصر تقول مُنَى أبو سِنَّة، أستاذ الأدب الإنجليزي، في الندوة التي عقدت في القاهرة تحت عنوان (مساحات الاتِّفاق والاختلاف عند الإسلاميين والعلمانيين): «إن مسألة العقيدة وحدود الاتفاق والاختلاف بين العلمانيين والإسلاميين غير واقعية؛ لأنه لا توجد علاقة بينهما، باعتبار أنهما تياران تختلفان في الرؤية والتوجه. وأكدت الدكتورة منى أبو سنة - في ختام حديثها - على ضرورة أن يفرض المثقفون سيطرتهم على المجتمع، بدلًا من الإسلاميين»[2].

٦- نوع القضايا التي يتناولونها تكشف عن أهدافهم الحقيقية: فلقد ذكر الشيخ عبد الرحمن آل فريَّان هدفين للعلمانيين في سعيهم الحثيث لمشاركة المرأة في العمل بجانب الرجل، فقال: «الأول: حتى تقوم بالعمل معهم وتقوم ببعض النفقة عنهم، فهم ماديّون. الثاني: أن يشبعوا رغبتهم الجنسية منها، فتكون أُلعُوبَة في أيديهم»[3].

(١) جريدة الغد الأردنية، بتاريخ ١٣/١٠/٢٠٠٨م.
(٢) جريدة الشرق الأوسط، ٢٨/٢/١٤٣٠هـ ٢٤/٢/٢٠٠٩، العدد (١١٠٤٦).
(٣) مجلة الدعوة (٦٩٣)، في ١٢/٢/١٤٢٠هـ.

ولعل من أبرز تلك القضايا:

- **الترويج لدور المرأة اللعوب في المجتمع الإسلامي.**

تقول الكاتبة ميساء راشد غَدِير: «تقرير آخر نشرته صحيفة (سفن دايز) الصادرة في دبي منذ يومين تحت عنوان (هل تودين المشاركة في مدرسة للمرأة اللعوب؟) وقال التقرير: إن مثل هذه المدارس أصبحت عُمْلَة رائجة في روسيا، حيث يتم فيها تعليم النساء أساليب فتنة الرجال، وأن هناك فرصة كبيرة لمثل ذلك، للنساء الطموحات في الإمارات.

ونقلت الصحيفة عن سيدة أوروبية قولها إنها كانت تعتَزِم تأسيس جمعية تطلق عليها اسم (جمعية النساء اللعوبات في دبي)، وأشارت السيدة إلى أنها تعتقد بأن آلافًا من النساء سيشاركن فيها. وقالت إنها تحب لو تنظر نساء الإمارات إلى كلمة (لعوب) على أنها شارة فخر! والأكثر من ذلك أن الصحيفة طلبت من قُرَّائها الإدلاء برأيهم في هذا الموضوع، طارحة السؤال التالي: «هل أنت لعوبة... وهل يثمر ذلك؟ وهل تعملين مع أحدهم وتعيشين مع آخر؟»[1].

- **الدعوة لكشف المرأة وجهها أمام الرجال الأجانب والسفور، وهذا شواهده كثيرة ومعروفة.**
- **الخروج والسفر بلا مَحْرَم.**
- **الاختلاط بصورته المحرمة شرعًا.**

(١) جريدة البيان الإماراتية، ٢٩/١/٢٠١٠م، ١٤/٢/١٤٣١هـ العدد (١٠٨١٧).

- قيادة المرأة للسيارة.
- إنشاء الأندية الرياضية النسائية.
- التثقيف الجنسي للشباب والشابات.
- الممارسة الجنسية الآمنة.
- المطالبة بحفظ حقوق العلاقات المثلية (الجنس الثالث).

٧- عدم الاهتمام بالقضايا الجَوْهَرِيَّة المصيرية والمهمة بالنسبة للمرأة، والتي لا يتصدى لها إلا الجادون المخلصون لها:

- كقضايا العنف ضد المرأة.
- ومشاكل النفقة والطلاق.
- وقلة فرص التوظيف المتناسبة مع الحال، والكثير غيرها.

* * *

كيف تواجه المرأة المسلمة ثقافة الانهزام؟

يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ [يونس:٢٣].

إن كنت تريدين الجنة فلا بد من الصبر ودوام العمل، ومواجهة الباطل وأهله، والعمل لله ولدينه بصدق ويقين.

وقبل أن أعرض عليكِ هذه الوسائل سأذكرك بقول ربك: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة:٢١٤].

١- الاعتزاز بالدين:

والاعتزاز بالدين يعني الفخر بالانتماء له...ونصرته...وعدم خذلانه، والحرص على إعلاء كلمته. إن المسلمة تعيش بصفة العزة التي يكون لها بها حالة مانعة أن تُغلب، قال تعالى: ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء:١٣٩].

لأن المرأة المسلمة ذات هُوِيَّة معينة، وشخصية ذات ملامح محددة، لا يمكن لديانة أخرى أن ترسم لها طريقها إلى ربها؛ إذ لا ديانة تعرِّفك بربك وبحقه عليك سوى الإسلام. فاعتزي بدينك ولا تلتفتي إلى مشاريع الأعداء، ولا تصغي إلى كلامهم فهم لا يملكون سوى تصفيف الكلام وتزيينه؛ لتنبهر به النساء المسلمات، فتَعْمَى أبصارهن عن الحقيقة

المَرَّة خلف هذه الدعاوى: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام:١١٢]، فكلامهم يحتاج إلى من يكشف عَوَرَه.

ومما يكفيكِ لتعتزي بدينك أنه لا يوجد في كتاب الله تعالى سورة إلا وللمرأة فيها نصيب، وقد جعل الله تعالى للنساء سورة في كتابه الكريم، وهي من أطول سور القرآن الكريم.

- أما سنة النبي ﷺ ففيها ما لا يمكن حصره من الأحاديث الخاصة بالمرأة.
- وفي كتب الحديث أبوابٌ خاصة للنساء، ككتاب عِشْرَة النساء، للنسائي؛ أورد فيه ٤٠٢ حديثًا، مطبوع في مجلد.
- ومن الكتب القديمة المطبوعة في ذلك (أدب النساء) للإمام عبد الملك بن حبيب (المتوفى سنة ٢٣٨هـ).
- أما ما يوجد من الكتب المطبوعة الخاصة بالمرأة، فهذا مما يصعب حصره.

٢- الاستقلال بالدين:

لا تكوني كالإسفنجة؛ تمتص كل ما تلامسه، كوني متميزة ومستقلة، واحذري من تقليد الثقافات الأخرى المخالفة للشرع الإسلامي، سواء التقليد في الملبس أو التقليد في المأكل أو أسلوب الحياة أو طريقة الكلام، أو حتى الاهتمامات؛ لأن هذه أمارة الانهزام، وكما يقال: «المغلوب يقلد الغالب».

كما أن الله تعالى قد ارتضى لنا الاستقلال بديننا وأبى أن نكون من التابعين المغلوبين؛ قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية:١٨].

وقد وبّخ الله من تشبّه بهم في شيء من قبائحهم، فقال تعالى: ﴿فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ﴾ [التوبة:٦٩].

ثم لنعلم أن سرّ تميزنا، نحن المسلمات، ليس بالمشابهة والتلقيد والمحاكاة لأهل الباطل، وأنه ثَمَّةَ فارق كبير وبَوْن شاسع بين التقدم والتأخر: «نخشى أن يكون معنى التقدمية تقليد الغربيين في الخير والشر؛ فإن كشفوا العورات كان سترها رجعيًا، وإن أعلنوا الزنا كان إعلانه تقدميًا، ومن الناس منْ يلوي لسانه بالفرنسية أو الإنكليزية ويترك العربية، يحسب أن كل من رَطَنَ بكلمات من لسان الإنكليز، صار صاحب الأسطول البريطاني وملك القنبلة الذَّرِّيَّة، ويجب علينا أن نفعل مثلما يفعلون، وإلا كنا رجعيين»[1].

كما طالب المشاركون في المؤتمر الدولي الخامس للعلوم الإنسانية الذي نظمته كلية الدراسات الإنسانية في جامعة الأزهر أخيرًا تحت عنوان (الدراسات الإنسانية وقضايا العصر)، طالب المشاركون بـ: «ضرورة مواجهة مخططات الهَيْمَنَة على العالم الإسلامي ورفض تقليد الغرب،

(١) منتديات النخبة.

باعتبار ذلك سببًا في تخلف الأمة، مؤكدين ضرورة تكاتُف الجمهور بين المتخصصين في كافة المجالات واستعادة الأمة لهويتها، وتأكيد ذاتيتها الإسلامية»[1].

«وإذا كانت الأمم تحرص على استقلالها الفكري والاجتماعي بدافع من العزة القومية أو الكرامة الوطنية، أو غيرهما، فإن المسألة عندنا تختلف تمامًا؛ لأن استقلالنا في هذه الأمور هو قضية عقيدة ودين، ومسألة وجود ومصير، ومسؤولية رسالة ودعوة، وضرورة بعث وإنقاذ لأنفسنا وللعالمين، ثم هي مهمة قيادة وهداية، وتمكين لخط الوعي المُشرِق، وتمييز له عن المناهج والنماذج البشرية التي سيطرت على الأرض وملأتها ضلالًا وإلحادًا وعِنادًا. وهذا كله يأبى علينا التبعية كل الإباء، بل إن التَّبَعِيَّة هنا تصبح خيانة لرسالتنا وجناية على أمتنا، وشرودًا بالقافلة البشرية عن طريق ربها الواحد القهار»[2].

ومعلوم أن المشابهة تورث التقارب والمودة، يقول شيخ الإسلام - رحمه الله: «المشاركة في الهدي الظاهر توجِب أيضًا مناسبة وائتلافًا، وإن بعُد المكان والزمان».

ويقول: «المشابهة في الظاهر تورِث نوع مودَّةٍ ومحبة وموالاة في الباطن»[3].

---

(١) جريدة الشرق الأوسط، ١٤٢٤/٣/٤هـ ٢٠٠٣/٥/٦م، العدد (٨٩٢٥).
(٢) كتاب الغزو الفكري (ص:٢٧٢).
(٣) كتاب اقتضاء الصراط المستقيم (ص:٢٢٠-٢٢١).

تقول إحداهن بكل انهزامية ـ وهي فتاة تركية ـ في بعض المواقع الإنجليزية: «إننا نعيش اليوم مثل نسائكم الإنجليزيات، نلبس أحدث الأزياء الأوربية، ونرقص وندخّن ونسافر، ونتنقل بغير أزواجنا»[1].

يقول ابن القيم في عرضه لوصية شيخه ابن تيمية: «قال لي شيخ الإسلام ـ رضي الله عنه ـ وقد جعلت أورد عليه إيرادًا بعد إيراد: لا تجعل قلبك للإيرادات والشبهات مثل السفنجة، فيتشربها؛ فلا ينضح إلا بها، ولكن اجعله كالزجاجة المصمتة، تمر الشبهات بظاهرها ولا تستقر فيها؛ فيراها بصفائه ويدفعها بصلابته، وإلا فإذا أشربت قلبك كل شبهة تمر عليها، صار مقرًا للشبهات. أو كما قال»[2].

٣- التمسك بالدين:

لا بد لنا من التمسك بديننا، من اتّباع ما جاء في كتاب ربنا جل وعلا، وكذلك التمسك بسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، لنتأمل وصية رسول الله لنا، فعن العِرْباض بن سارِيَة قال: وعظنا رسول الله موعظة ذَرَفَت منها العيون ووَجِلَت منها القلوب، فقلنا: يا رسول الله، إن هذه لموعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟ قال: **«قد تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، من يعِشْ منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عَضُّوا عليها بالنواجذ، وعليكم بالطاعة وإن كان عبدًا حبشيًّا، فإنما المؤمن**

(١) كتاب عودة الحجاب، محمد إسماعيل المقدم، (ص:٢٠٨).
(٢) كتاب مفتاح دار السعادة (١/٤٤٣).

كالجَمَل الأَنِف حيثما قيد انقاد»[1].

يقول الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ، المفتي العام في المملكة العربية السعودية ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء، بمناسبة القمة الاستثنائية الإسلامية بمكة المكرمة عن التمسك بالدين: «هو الضمان الوحيد لعز هذه الأمة وتمكينها، وأصل ذلك قول الله ﷻ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النور:٥٥]»[2].

فمن النساء من خُيِّل لها أنّ التقدم المزعوم والتمسك بالدين الإسلامي متباينان تباينَ مقابلةٍ، بحيث يستحيل اجتماعهما معًا؛ فكانت النتيجة الانحلال من الدين رغبة في التقدم. ولا شك أن في ذلك خسرانًا في الدنيا والآخرة، وما ذلك إلا الخسران المبين.

٤- معرفة الدين:

إنّ من أهم متطلبات المواجهة المنهجية لقضايا المرأة المسلمة، معرفةَ أحكام الشريعة ومقاصدها؛ حتى تتمكن المرأة من مناقشة قضاياها بشكل منهجي منضبط، عادل ومنصف، من خلال الدراية والمعرفة الشرعية بدينها، فتعتقد مثلًا اعتقادًا جازمًا بأن الحلول المتعلقة بقضايا

(١) رواه ابن ماجه، وصححه الألباني.

(٢) جريدة الشرق الأوسط، ١٤٢٦/١١/٦هـ ٢٠٠٥/١٢/٧م، العدد (٩٨٧١).

المرأة لا بد من أن تقوم على العدل معها، لا المساواة بها مع الرجل.

ولنتذكر قيام الحُجَّة علينا في معرفة الحق وطلبه ومحاولة تعلمه، فمتى ما رفعت المرأة عن نفسها الجهل بدينها، ساهمت في نشر الفكر الإسلامي الصحيح بما ينعكس أثره على تربية الأجيال القادمة، كما أن التفقه في الدين يغرس الأسس المعرفية والأخلاقية السلوكية الصحيحة في نفس كل مسلمة؛ لتكون قادرة على العمل الفاعل على هذه الأرض، سعيًا في خدمة الدين الإسلامي وغاياته السامية.

ولنعلمْ أن الفقه في الدين هو في ذاته خير، فمن فقهه الله في دينه فقد أعطاه خيرًا كثيرًا، وأراد به خيرًا كثيرًا، وهذا متَّفِق تمامًا مع ما جاء عن معاوية ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من يُرِدِ اللهُ به خيرًا يُفَقِّهْهُ في الدين»[1].

ويأتي بعد ذلك العاقبةُ والجزاء والثواب، فكل من الفقه في الدين والعلم به، وكذلك العمل به، حين لا يكون فقيها في دين الله من لم يعمل به. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر:٢٨]، إذًا الفقه في الدين يشمل العلم والعمل؛ لأن من أوتي علمًا ولم يعمل به لم يرد الله به خيرًا.

ومن أهم سُبُل الحفاظ على الدين والاعتناء بتقويته، الدعاء؛ ولذا كان من دعائه ﷺ: «اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي،

(١) أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، برقم (٧١)، ومسلم: كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، برقم (١٠٢٧).

وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ»[1].

وقال المناوي ـ رحمه الله ـ: «اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي» أي: الذي هو حافظ لجميع أموري، فإن مَن فسد دينُه فسدت جميعُ أموره وخاب وخسِر في الدنيا والآخرة» ا.هـ.[2].

٥- خدمة الدين:

إن من أهم مقتضيات الاستقامة على دين الله ومتطلباتها، نصرةَ هذا الدين وخدمتَه بكل أشكال الخدمة والنُّصرة، كلٌّ بحسب إمكاناته؛ إذ أن خدمة الدين كانت شُغْلَ المخلصين له من أبناء هذه الأمة المحمدية، وشغل الأنبياء المسدَّدين من قبلهم؛ فهذا عثمان ﷺ يحفر بئرًا على نَفَقتِه، ويجهز جيش العُسْرَةِ من ماله.

ولَمَّا أعطى الله داود ﷺ إلَانَةَ الحديد، استخدمها في صناعة الدُّروع وملابس الحرب والعَتاد العسكري؛ ليجاهد في سبيل الله ﷻ.

وهذا طالوتُ أعطاه الله بسطة في العلم والجسم؛ فقاد بني إسرائيل بشرع الله حتى وصلوا إلى نصر الله.

فلنحذرِ السلبية ولنكُن منتِجاتٍ وعامِلاتٍ لديننا ولأمتنا، ولأنفسنا أولًا.

---

(١) رواه مسلم (٢٧٢٠).
(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، للإمام عبد الرؤوف المناوي (٢/١٧٣).

ولنحذر أن نكون من العَجَزَة الذين جعلوا من نصرة هذا الدين أمنية لا تتجاوز حناجرهم. ولنكنْ أكثر صدقًا لأنفسنا، ولنسأل أنفسنا: ماذا يعني لنا هذا الدين؟

وهل نحن مستعدات للتضحية من أجله أم لا؟

وماذا يمكننا أن نفعله نصرة لديننا؟

ولنكن يَقِظات حَذِراتٍ مُتَنَبِّهاتٍ من الوصول لمرحلة الانهزام والاستسلام أمام ما تعيشه هذه الأمة، واقعات في مزلق التبرير على التقصير غير المقبول، عقلًا ونقلًا.

فهذه صورة العاجزة المستسلِمة المنهزِمة والهاربة من الحقيقة، بالتعلق بالأسباب الواهية؛ لإخفاء حقيقة المرحلة وخطورتها في إطار من الأكاذيب على النفس.

فعن أبي يعلى، شدَّاد بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ، وَالعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا ثُمَّ تَمَنَّى عَلَى الله»[1].

وقال أحد الغربيين، واسمه (ليبولد فايس): «يجب أن يتَّضِح لدينا أن إهمال المسلمين ـ وليس النقص في تعاليم الإسلام ـ هو الذي سبَّب الانحلال الحاضر» ا.هـ.[2].

(١) رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن».
(٢) الإسلام على مفترق الطرق، محمد أسد (ص:٧١).

كم نحن بحاجة أن نستخدم قدراتنا التي أنعم الله بها علينا، وأن نُوَظِّفَها في خدمة ديننا، من مال وقوة وبلاغة! وغيرها الكثير من الإِمْكَانَاتِ والوسائل المُبَاحة.

فلنجعل من المال والشرف مثلًا نصرة الحقِّ، أو الوجاهة؛ لنأخذ مكانتنا التي تليق بنا أمام العالم، فإنّ حبّ الشرف والمال وطلبها للحقّ والخير، حسن. فقد قال يوسف عليه السلام للملك: ﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف:٥٥].

وجاء رجل إلى النبيِّ ﷺ فقال: يا رسول الله، دُلَّني على عمل أعمله، قال: «كن إمام قومك، فإن لم تسطع فكن مؤذنهم»، قال: فإن لم أستطع، قال: «فكن في الصف الأول»[1].

فكم نحن بحاجة أن نعيد النظر في مجالات استغلال تلك القدرات والنعم في واقع حياتنا! ولنتأمل كيف عُوتِبَ موسى صلى الله عليه وسلم واعتبر ذلك خطيئة في حقه، لَّما استخدم قوته الجسدية في ضرب رجل، فوَكَزَه فقضى عليه.

يقول الأمريكي دوغلاس ماك آرثر: «لو أحسن عرض الإسلام على الناس لأمكن به حلّ كافة المشكلات، ولأمكن تلبية الحاجات الاجتماعية والروحية والسياسية، للذين يعيشون في ظل الرأسمالية والشيوعية على السواء. فقد فشل هذان النظامان في حلّ مشكلات

(١) ابن أبي شيبة في مصنفه (١/٤١٥).

الإنسان. أما الإسلام فسوف يقدم السلام للأشقياء، والأمل والهدى للحيارى والضالين. وهكذا، فالإسلام لديه أعظم الإمكانات لتحديث هذا العالم وتعبئة طاقات الإنسان لتحقيق أعلى مستوى من الإنتاج والكفاية» ا.هـ.[1].

٦- عدم بيع الدين بالدنيا:

ينبغي منا أن لا تغرنا الحياة الدنيا فننزلق في مزالقها ولنحذر فتنتها، بل لنأخذ منها ما يسد حاجتنا، ولنكن في جهاد مع أنفسنا ولنحاول الانتصار على الذات.

٧- لا نخف من مكرهم بديننا:

إيّانا والهزيمةَ! ولنحسن الظن بالله ولا نستسلم، ولا نخف مكر هؤلاء الناس، ولنتعلم القوة. فلقد أنزل الله لنا ما يسكن به خوفنا، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل:١٢٧].

فلقد عانى رسول الله وأصحابه من المعاندين والمشركين وما كانوا يخططون فعله بالمسلمين؛ ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل:١٢٧-١٢٨].

وهذا فرعون! كم كاد لبني إسرائيل لمّا آمنوا به! ومن جملتهم ذلك الرجل الذي عرف بـ: (مؤمن آل فرعون) الذي قصّ الله خبره في سورة

(١) قالوا عن الإسلام، عماد الدين خليل (٤٤٣).

غافر. تأمل قوله تعالى: ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ۝٤٥ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّاۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ [غافر:٤٥-٤٦]، فنجى الله المؤمن، وأما فرعون وجنوده فهم الآن، بل منذ ماتوا، وهم يعذبون، وإلى يوم القيامة.

فلنكن على صبر بها نصاب به وثبات على موقفنا، ثم ثقة ويقين بنصر الله ووعده، كما ينبغي علينا محاربة روح الانهزامية المقيتة والضعف، ولنتذكر ما وراء هذه الفتن من الحكم والغايات العظيمة، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقان:٢٠]، وقال تعالى: ﴿ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران:١٢٠].

٨- لا تغرنا المسميات:

كم نحن بحاجة إلى تحرير الكثير من المصطلحات! إذ أنّ الماكرين بدين الله تعالى ليسَمُّون الأمور المحرَّمة بأسماء تحبها النفوس، ومن هنا يبدأ الحرام والتعدي على حقوق الله، وهذا أول المكر والكيد، وهذا إنما غرضه التوصل إلى ما هو ممنوع شرعًا، وجعْلُ تلك المسميات سترة وجُنَّة يتستر بها من تعدى على حدود الله.

ومثال هذا ما فعلتْه الجَهْمِيَّة عندما أخرجت التعطيل في قالَب التنزية.

وكذلك عندما أخرجت الخوارج قتال الأئمة في قالَب الأمر بالمعروف والنهيْ عن المنكر.

وبنفس السياسة ـ أعني سياسة تغيير المسميات ـ عُبِّرَ عن الحجاب بـ: (عادة شعبية) يتوارثها الأجيال في طرحٍ أغفل الجانبَ الشرعي له، وعن القوامة بـ: (السيطرة الذكورية).

فبالجملة: كل صاحب باطل لا يتمكن من ترويج باطله إلا بإخراجه في قالب الحق.

٩- الاستعاذة من شرور شياطين الإنس:

لقد قرر علماؤنا أن الساكت عن الحق شيطان أخرس، كما قرروا أن الناطق بالباطل والساعي فيه شيطان ناطق.

في الوقت الذي تزايد فيه شر شياطين الإنس، إلى حد قد نعتقد فيه أنهم أراحوا أبَالِسَة شياطين الجن في كثير من القضايا، وأراحوا شياطين الاستعمار في كثير من الأمور، فصارت فتنتهم أشد من القتل؛ وذلك لأنهم أخذوا يمُجُّون بباطلهم على القلوب الطاهرة، وتجرؤوا على ما لم يتجرأ عليه المستعمر، قولًا، وعملًا، وتنفيذًا، وفتنة.

فهاهو التوجيه الإلهي لنا إلى الاستعاذة من شرورهم ووَسْوَسَتهم في قوله تعالى: ﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾ [الناس:٤-٦]، في وقت نكون فيه متبعين ذلك بالحذر واليقظة والعمل الدائم؛ لإعلاء كلمة الله، وحفظ حدوده، كل ذلك كفيلٌ كيلا يكون للشيطان مجالٌ أو فراغٌ ينفُذ منه، فلا يحصل له علينا سلطان.

إذ ينبغي على المسلمة أن تكون على بيّنة من أمرها، بصيرةً بعيبها، عارفة من أين تؤتى، وكيف تمكّن الشيطان منه؛

لأنّ من أهل الحق من تشرّب قلبها شيئًا من وساوس شياطين الإنس، حتى وصلت إلى مرحلة جعلتْها تنوب عنهم في كثير من الأحيان لترويج باطلهم والدفاع عنه.

١٠- مصاحبة الأخيار ومجانبة الأشرار:

قال الخطابي رحمه الله: «لا تُخالِل إلا من رضيت دينه وأمانته؛ فإنك إذا خالَلته قادك إلى دينه ومذهبه، فلا تُغَرِّرْ بدينك ولا تخاطر بنفسك، فتخالل من ليس مَرْضِيًّا في دينه ومذهبه» ا.هـ.[1].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ»[2].

* * *

(١) كتاب العزلة، للعلامة الإمام أبي سليمان بن محمد الخطابي (ص:١٤١).

(٢) رواه أبو داود (٤٨٣٣)، والترمذي (٢٣٧٨)، وحسّنه.

العــاقــبة

قرر الله تعالى على عباده الكائدين المعاندين بالهلاك، ما يجعلنا نتعامل معه سبحانه بصدق التوكل عليه واليقين بنصره، والثقة به والاقتداء بشرعه وتطبيق دينه، فقال جل وعلا: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [المرسلات:١٦-١٨].

١- الاستدراج والإمهال بالتمكين في الأرض:

لقد كتب الله الهلاك لكل مستحق في سنن مُقَرَّرَة كسُنَّة الإنذار.. وسُنَّة الإمهال.. وسُنَّة الاستدراج.. وسُنَّة الاستحقاق.. وسُنَّة الكشف.. وسُنَّة الميعاد.. وسُنَّة الإهلاك الفِعْلي.

وإن من عقوبة الله لكل المتحايلين الماكرين بهذا الدين أن يتركهم في معصيتهم، مسترسلين فيها، فيقَعون في المعصية تِلوَ الأخرى، فيحدث داخلهم أمن من مكر الله فيزدادون في المعصية.

إذًا الاستدراج سنة إلهية يكون بها الهلاك، ولا شك أنها مرحلة تسبق الهلاك؛ فقد قال الله جل وعلا: ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف:٩٧-٩٨].

فمتى ما عمل العبد ما يقرر غضب ربه جل وعلا، حينها يُنْفِذ الله

حكمه ويُمْضيه فيه، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ [الزخرف:٥٥].

كما قد أشَرْت لمثل هذا المعنى في إحدى مقالاتي: إن ما يملكه العدو الآن من نتائج قد يسجلها في قائمة النصر ـ كما يعتقد ـ ما هو إلا استدراج له، إذ أن في تمكين العدو مزلقًا يقود به نحو مصير بائس، قال الله تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ [آل عمران:١٩٦-١٩٧].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [آل عمران:١٧٨].

يقول ابن القيّم ـ رحمه الله تعالى ـ: «إنّ في تمكين أهلِ الكفر والفسوق إيصال أولياء الله إلى الكمال، الذي يحصُل لهم بمعاداة هؤلاء وجهادِهم والإنكار عليهم والموالاةِ فيه والمعاداة فيه، وبذلِ نفوسهم وقُواهم له... إلى أن قال: فلولا خلقُ الأضداد وتسليط أعدائه وامتحان أوليائه، لم يستخرج خاصَّ العبوديّة من عبيده، ولم يحصل لهم عبوديّةُ الموالاة فيه والمعاداة فيه، والحبِّ فيه والبغض فيه، والعطاء له والمنع له» ا.هـ[1].

إذ أن التمكين الحقيقي الذي هو علامة محبة الله لعبده وبشارة، خير له في الدنيا، ما ذكره الله ـ تبارك وتعالى ـ في قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ

(١) طريق الهجرتين (ص:٢٠٢).

ﵟٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِﵞ [الحج:٤١]» ا.هـ[1].

كما وعد الله ﷻ باستخلاف أهل الإيمان والإسلام في الأرض، وتمكينهم فيها، وتأمينهم من بعد خوفهم، وهذا يتحقق متى ما تحقق شرطه، يقول ـ جل وعلا ـ: ﵟوَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗا...ﵞ [النور:٥٥].

٢- الفتنة في الدين:

قال ـ جل وعلا ـ: ﵟفَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌﵞ [النور:٦٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «ومن استقرأ أحوال الفتن التي تجري بين المسلمين، تبيَّن له أنه ما دخل فيها أحدٌ فحمد عاقبة دخوله؛ لما يحصل له من الضرر في دينه ودنياه، ولهذا كانت مِن باب المنهي عنه، والإمساك عنها من المأمور به، الذي قال الله فيه: ﵟفَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌﵞ»[2].

* * *

(١) مقالة (مبشرات من رحم المأساة)، موقع رسالة الإسلام.
(٢) منهاج السنَّة النبوية (٤/٤١٠).

الخـــاتمة

نحن نُوقِن أنه متى ما أعلنت المرأة المسلمة انهزامها واستسلامها أمام مكر الماكرين، ستكون نتيجته أن تصبح المرأة المسلمة، بل الأمة بأكملها، مريضة الفكر والإحساس، تحب ما يريده لها عدوها أن تحبه، وتكره ما يريد منها أن تكره، وهو داء عُضَال يَفْتِك بالمرأة ويُذِيب شخصيتها، ويطمِس معاني الأصالة والقوة فيها، والمرأة التي تُبْتَلى بهذه الانهزامية، لا تحس بها أصابها ولا تدري عنها، ولذلك يصبح علاجها أمرًا صعبًا، وإفهامها سبيل الهدى شيئًا عسيرًا.

كما أنه إن استسلمت فِئَةٌ من المسلمات اليوم فإنه يوجد من نساء هذه الأمة المحمدية من يتصَدَّيْن لكل ما لا يَمُتُّ إلى هذا الدين بصلة، ولكل ما هو دخيل. فيحاولنَ مراجعة تاريخ الانهزام؛ ليتداركن من قائمة التنازلات كل ما في إمكانهن استدراكه. فهؤلاء ممن سيوفقهن الله من نساء هذا الزمان، سيسعين في إيجاد الفرص في كل ناحية من النواحي التي تندثر بين أعين المنهزمات اليوم.

نسأل الله تعالى أن يهدينا صراطه المستقيم، وأن يجعلنا ممن استقام ظاهره وباطنه على ما يحبه ويرضاه، وأن يثبتنا على الإسلام والسنة حتى نلقاه. والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

كتبته: بلقَيسُ بنتُ صالح الغامديّ

البريد الإلكتروني: (BALQEES.G@HOTMAIL.COM)

فهرس الكتاب

الموضوع **الصفحة**

* * *

• إهـداء •

إلى كل امرأة آمنت بالله ربًّا، وبمحمد ﷺ نبيا ورسولًا، وبالإسلام دينا.

•• إليكِ رسالتي هذه بين يديك لتقرئيها بعينيك، فيعيها عقلك، ثم يؤمن بها فؤادك بإذن الله.

•• إنها رسالة محب لمحبوبه، رسالة من آمن بأن الحب التزامٌ على نفع محبوبه، لا كلمات عابرة أو جملًا مصفوفة تزخرَف بها الصفحات، وتزين بها البطاقات، وتمتلئ بها رسائل الجوَّال.

•• إن رسالتي هذه ما هي إلا إشارة إلى الهزيمة التي ينبغي أن تكون المرأة المسلمة في حذر من أن ترفع لواءها مستسلمة ومنهزمة، في لحظة تقف فيها على أنقاض دينها.

- ليست الهزيمة عندما تفشل المرأة في علاقتها الزوجية.
- أو عندما تتعثَّر في دراستها.
- ولا حتى عندما تخسر علاقات اجتماعية لها.
- أو عندما لا تحصل على وظيفة تتناسب مع مؤهِّلها.
- ولا حتى عندما تدخل في مشروع فتخسر فيه مالها.

•• إن الهزيمة التي أريد، والتي تكون الخسارة فيها مصيرية، تلك التي تدفع بكِ لأن تتنازلي عن قضيتك الكُبرى والعُظمى، وتستسلمي أمام دَعَاوَى الماكرين المضلِّلة، لتبيعي دينكِ بعَرَض من الدنيا قليلٍ، كل ذلك في سَكْرَة الانبهار بثقافة مَمْجوجة وعبارات مزخرَفَة مزيَّنة، وأفكار انهزامية مقيتة.

بلقيس بنت صالح الغامدي

